

الرواية الأطروحة بين حدثين رواية " جاذبية الصفر" للوأي عبد الإله نموذجاً

عالية خليل إبراهيم

DR.aliah@uomstansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

ينظر للسرد في الزمن الراهن بأنه وسيلة اجرائية لفهم الوجود وليس متخيلاً وظيفته التأثير أو الامتاع فحسب ما يحفز الباحث للمزيد من النظر في تخوم التداخل النصي بين الأجناس الأدبية والمعرفية، إن تجذر دراسات الخطاب وإقرارها باليات التواصلية بين العلوم الإنسانية ونظرية العلم من جهة وخطاب المتخيل من جهة ثانية منح الرواية ابعاداً معرفية ما زالت تتكشف تباعاً بوصف الرواية النموذج الأشمل والأرقى لجنس المتخيل، وليس توليد انماط جديدة جزءاً مما فرضته سعة مدارات التعالق وإنما إعادة تمحيص انماط روائية جرى الحديث عنها سابقاً ومنها مفهوم " الرواية الأطروحة" الذي نحن بصدد، يبتغي هذا البحث إعادة المفهوم للواجهة النقدية وتقعيده وفق وجهة نظر منهجية معاصرة تتجاوز ما تم طرحه عن المصطلح تقليدياً وتمنحه الحضور الفاعل ضمن حقل التواصلية في ضوء التطبيق على رواية " جاذبية الصفر" وجدت فيها التمثيل الأنضج لهذا الاتجاه في الكتابة.

الكلمات المفتاحية : الرواية ، جاذبية الصفر ، للوأي عبد الإله

The Thesis Novel between Two Modernities: Louay Abdul-Ilah's "Zero Gravity" as a Model

Alia Khalil Ibrahim

Al-Mustansiriya University, College of Education, Department of Arabic Language

Abstract

Narration in the present time is regarded as a procedural means of understanding existence, rather than a mere imaginative device whose function is limited to influence or entertainment. This perspective motivates researchers to further explore the boundaries of intertextual overlap between literary and epistemological genres. The deep entrenchment of discourse studies, along with their acknowledgment of intertextual mechanisms between the humanities and the philosophy of science on the one hand, and the discourse of imagination on the other, has granted the novel epistemological dimensions that continue to unfold, positioning it as the most comprehensive and refined model of the imaginative genre. The emergence of new patterns is not simply the result of the broad scope of interrelations, but also of the re-examination of novelistic forms previously discussed, among them the concept of the "thesis novel" which is the focus of this study. The aim of this research is to bring this concept back to the forefront of critical inquiry and to systematize it within a contemporary methodological perspective that transcends traditional treatments of the term, granting it an active presence within the field of intertextuality and interdisciplinary studies. In light of its application to the novel *Gravity of Zero*, the study found in it the most mature representation.

Keywords : The Novel , Zero Gravity Author, Luay Abdul-Ilah

1-1- مفهوم الرواية الأطروحة : The thesis novel

قدم الناقد (سعيد علوش) مطالعة نقدية وافية في كتاب "الرواية الأطروحة" لمؤلفته (سوزان رويان سليمان) ظهر في بداية ثمانينيات القرن العشرين وذكر علوش أنه هو من ترجمه إلى العربية إن مقال الناقد عطا على أفكار المؤلفة جاءت على أشدها تنكيلا وبخسا لقيمة المصطلح كما يفهم من تنظيرهما له، تعرف المؤلفة الرواية الأطروحة بأنها الرواية التي تستند إلى "مقاربات تبسيطية وتبريرية تلبية لرغبة جامحة في التوضيح كونها تمثل نزوعا مضادا فحيث يبحث النص العصري عن التشظي وتعدد المعاني تستهدف رواية الأطروحة المعنى الأحادي والانغلاق (علوش س.، 1988، صفحة 76). يلفت الانتباه في التعريف ما أطلقت عليه المؤلفة بالنزوع المضاد تقصد التضاد مع افاق الحداثة السردية متمثلة بالرواية التجريبية أو بالرواية الجديدة والتي شغل كتاب ونقاد ذلك الوقت بالتظير لأسسها وتبيان سماتها وقد اعترضت على ميراث السردية المتواتر جملة وبخاصة الذات أو الشخصية في تمثيلها السردى إن مادة الفن بحسب طروحات دعاة الرواية الجديدة ليست الذات وإنما الموضوع فالحياة في ظل الرأسمالية ماضية نحو التشيؤ ومثلها الفن وقد كان المنهجان البنيوي والسميائي على أشدهما تأثيرا في الأوساط النقدية أثناء صدور كتاب رويان، ظهرت حينها موجات الكتابة في درجة الصفر في تنظير (رولان بارت) والكتابة الشفافة مفهوم (تودوروف) رائجة وقتها وغايتها تقيم الكتابة الجديدة مملكة العلامة أو الدال وتدمير المدلول وتشظيه لحيازة لعبة الدوال غير المتناهية، فالأدب كما يشير بارت نسق مزدوج دال وتضمني وهذه السيمياء التضمنية تتعارض مع اللغة الواصفة التي لها مضمون محدد فلا يمكن أن يؤخذ الأدب بترائية ما للأجناس بل قوته التدميرية ازاء التصنيفات القديمة" (بارت، 2015، صفحة 88).

أخذت توجهات النقد في حقبة الستينيات وما تلاها تركز على الخطاب الروائي الأدوار والفعول والصيغ وليس على مادة السرد المحتوى (تومي، 2014، صفحة 311)

تؤسس رويان لموازنة مختلة بين حادثة روائية متطرفة تؤيدها ورواية عبر زمنية ملتزمة بالنقائيد ترفضها والأطروحة بحسب تعريفها مفهوم شارح لتلك النقائيد سواء البنائية منها أو الدلالية يتضح ذلك من خلال وصفها لها بالاحادية والتبسيطية والانغلاق والوعظية . من الروايات العالمية التي عدتها أطروحة مثل "المجتنون" لباريس و "حقيقة" لأميل زولا و "زمن الاحتقار" و "الأمل" لمارلو و "عقدة الأفاعي" لموريك.

يتحدث علوش عن منهجين وتوجهين نقديين من الممكن أن تفهم الرواية الأطروحة في ضوءهما هما أولا : الواقعية وثانيا : الحجاجية " التداولية".

تقرب الرواية الأطروحة من الواقعية بكونها ترفض الاغراق في التخيل وتتأى عن المجازية والرمزية والاسلوب المصفى الرفيع الذي ينتهي إلى التجريد والتتقيق اللفظيين. تختلف الرواية الأطروحة عن الواقعية في تبسيط تمثيلاتها من أجل حاجاتها البرهانية بينما تعلن الواقعية عن ميلها للحفاظ على تفقد الحياة اليومية وكثافتها قبل كل شيء، القول أن الأطروحة تتطلق من واقعية الرؤية لا يشرح المفهوم بل يزيده التباسا ويمنحه تعددية في الرؤية، فالوعي في علاقة جدلية مستمرة مع الواقع من زاويتي التصوير والاختراع، وفي تتبع المسار الزمني للواقعية نجدها غير منفصلة عن الرومانسية في نشأتها وليست بعيدة عن اللاوعي الجمعي في تطبيقاتها وقد صرح (بونغ) إن محتويات اللاشعور المتصلة بوجوه النشاط للوعي تتسم بالصفات ذاتها التي تميز حقائق العالم (فضل، 1995، صفحة 54).

إن التوجهين الواقعي والنفسي غير منفصلين في الرواية. كما وظفت الواقعية السحرية الاسطورة والفانتازيك في تمثيلها الواقع. تحدث علوش عن اطاريج روائية كل من وجهتها الموضوعية منها الأطروحة الإجتماعية والنفسية والفكرية" ادراج كل الروايات وكل الأعمال التخيلية بالمعنى الواسع للاصطلاح بما في ذلك الدرامية والملحمية في الأعمال القابلة لقراءة الأطروحة.

المصطلح الثاني الذي ترشح عنه الرواية الأطروحة ، هو الحجاجية، تقتض هذه الإحالة تداخلا اجناسيا وظيفيا وبلاغيا بين السرد وجنس الخطابة في سعيهما لإثبات الحجة والدليل، يعرف الحجاج أنه " فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب اخبارية وتوجهات ظرفية ويهدف إلى انشاء الاشتراك جماعيا في انشاء معرفة انشاء موجها والتقنيات الاسلوبية والصيغ السردية بغية التأثير في المتلقي وحمله على تغيير معتقداته أو تثبيتها (امغار، مفهوم الحجاج وتعريفاته، 2020، صفحة 204). تتساءل رويان مع بارت عن جدوى فن للإقناع أو فن للإيهام الثقافي ما دامت الاعمال التخيلية كيفما كانت ضحالتها الشاعرية هي التي تحرك الشعور السياسي أكثر من غيرها. إن الأبعاد التداولية

لجنس المتخيل مختلفة عن الأجناس الحجاجية مثل الخطابة أو المقال الصحفي أو التأليف المنهجي فالسارد غير ملزم بأن يقر بصحة القضية التي يطرحها ولا بالاعتقاد في صحتها ولا بتقديم البراهين لإثباتها إنه بإخلاله بجميع الملفوظات التي تمكن من انجاز اثبات ناجح قد حقق من جهة أخرى عملاً مقصوداً بالقول من صنف آخر هو كتابة رواية (مشبال، 2018، صفحة 287) يتخلل الحجاج مواضع في النص من قبيل الحوارات والوقفات الوصفية ووجهات النظر التي تعد أحد المصادر الرئيسة للتوجيه الحجاجي لكن الحجاج يحاور المتخيل القصصي ولا يعارضه.

تدني أسلوبيه الحجاج في أبعادها التداولية والوظيفية وعلاقتها بالمتلقي بغية التأثير والاقناع من مفهوم الأطروحة الأكاديمية في كونها خطاباً معرفياً له هدف ورسالة ابلاغية مباشرة وتقانات اقناعية محددين. إن الأطروحة كما يصفها (جي هالينبي) "تحقيق قام به معدها على هيئة أجزاء محددة ومنسقة بإتقان عن موضوع أو مشكلة في الأدب أو التاريخ وفيها اختبار لقدراته على جمع الأدلة وتوضيحها"، كما ينبغي توثيق كل عرض ينجزه كيما يرى الممتحنون مدى متانة تركيبة موضوعها (ومونتين، 1988، صفحة 19).

تأتي الحاجة في الرواية ضمن نسق تخيلي له بلاغته هو الآخر الحجاج في بنيته واقعة نصية ودلالية مثله مثل الوقائع النصية الأخرى التي يضمها النثر الإبداعي ويتجاوزها نحو أدبية الخطاب. يصف "محمد مشبال" حاجة الرواية الحديثة "حجاج في خدمة السرد فليس مطلوباً من الرواية أن تتوجه إلى المتلقي للتأثير في مواقفه وإن كان هذا الصنف قائماً في ما يسمى الرواية الاطروحة" (مشبال، 2018، صفحة 67). نقرأ اقراراً بوجهة نظر رويان في فرزها بين رواية حداثية تعددية وبين رواية أطروحة تقليدية أحادية ما يدل أن المصطلح لم يعاد النظر فيه مجدداً..

3-1 الرواية الإطروحة في الحداثة البعدية:

شرح المفكرون والنقاد بالتظير للقاء العلوم الإنسانية مع جنس المتخيل بعد انحسار موجة الحداثة الأولى والتي كان قوامها السيميائية والبنوية وأخذت الرؤى المنهجية في الربع الأخير من القرن العشرين وما تلاه تتجه صوب مناهج تعنى بالذرائع والقصد ونظام الفعل في علاقته بالذات والزمان مثل التأويلية الظاهرية والسيميائية والتداولية بأنواعها وتحليل الخطاب والدراسات الثقافية والانتروبولوجية ودراسات ما بعد الاستعمار، من أوائل المفكرين الذين أعيد قراءة منجزهم النقدي في ظل تلك التوجهات (ميخائيل باختين) تنظيره للحوارية منهجاً نقدياً يحيد النظرة الأحادية لمختلف الخطابات ويؤسس للتعددية اللغوية وقد وجدت في الرواية فضاءها الرحب بالصد من خطاب الشعر الذاتي بينما اللغة السردية مخترقة بالمقاصد ومشبعة بالنبزات، وفي علاقتها بالوعي الذي يكتنفها لا تعد اشكالا معيارية وإنما كرنفالية للكلمة هي الايديولوجيا بما تمثله من فضاء اكتشاف للعالمين الثقافي والاجتماعي يعني باختين بالايديولوجيا والتي هي جذر نقده للخطاب "التأملات والانحرافات الخاصة بالواقع الاجتماعي والطبيعي يعبر عنها بالكلمات والرسوم والخطوط" (تودوروف، 2012، صفحة 69).

تتماز الرواية عن الأجناس الأخرى بهويتها اللغوية والثقافية وانغراسها في الواقع الذي تشخصه اللغة عن طريق التهجين والأسلبة والباروديا والكرونوتوب.

تداخل بين الوصفي التجريبي والتصوري العقلاني، الميتافيزيقي واليومي، النخبوي والجماهيري ينهي التراتبية بين الثقافات العالمية والشعبية (ميرغني، 2022، صفحة 123). تمثل النظرية الحوارية رؤية نقدية وتوجهاً تصحيحياً للرواية الأطروحة في استنادها لعلاقة الكلمة بالايديولوجيا والقصص بالواقع مع التنبيه على ضرورة إيجاد بدائل عن النظرة الأوتوقراطية الأحادية للمؤلف وأحلال ديمقراطية الحكاية السردية بديلاً بوساطة التعدد "يحثل المؤلف مكانة جوهرية خارج الحدث بوصفه رائياً لا مبالياً لكنه يمتلك رغم ذلك فهماً للمعنى القيمي الخاص بما يحدث" (تودوروف، 2012، صفحة 240).

وإذ عني باختين بالهوية اللغوية نظر الفيلسوف الفرنسي (بول ريكور) للهوية السردية وبالاختلاف مع صاحب الحوارية والذي بث أفكاره شذرات في مختلف مصنفااته ما استدعى شروحات وتأويلات عديدة لآرائه شرح ريكور فلسفته السردية في مجلدات ضخمة ومنها كتابه العمدة (الزمن والسرد) ينظر ريكور للسرد بأنه الأرض المشتركة التي تلقي عليها الانتروبولوجيا الفلسفية والتأويلية الهادغرية فالإنسان كائن سردي يريد جمع شتات هويته الخارجة من فضاء السرد إلى أرض واقعي بوساطة المتخيل بافتراضها عالماً ممكناً يستطيع أن يتقاطع مع عالم القارئ، يرتبط عمل الخيال بالمرجع ما يطلق عليه (التقاليد والتراث) التقاليد النظرية التي تخص كل جنس تعبيرية أما التراث القصصي الممتد عبر الزمن والذي يهب للكينونة في الزمن فهما أوسع في شقيه الظاهراتي

والكسولوجي (الغانمي، 1999، صفحة 124). أوضح ريكور "أن كثيرا من الاشكاليات الناجمة عن العلاقة بين الزمنيات المتعددة لا يمكن حلها من دون مساهمة السرد القصصي بهذا الجدال، وركز بشكل استثنائي على الكشف عن العلاقة بين كتابة التاريخ وعملية الحبكة والتي سبق لأرسطو تناولها في كتابه الشعرية" (ثامر، 2018، صفحة 23) لقد تركت فلسفة ريكور السردية الباب مشرعا لدراسة الرواية استنادا للمراجع التأسيسية للخطاب والتي أطلقت عليها رويان التراتيبات ومنها التاريخ والتراث، المرويات الكبرى، الذاكرة والنسيان، ، اشتبك ريكور مع دعاء الحادثة المتطرفة " كلما اقتربت الرواية من محو الشخص باستخدام هوية المطابقة فقدت خواصها السردية المناسبة لان فقدان الهوية الشخصية يقابل فقدان التصوير السردى وينظر ازمة خاتمته (الغانمي، 1999، صفحة 261). يشكل حضور الهوية الشخصية في الرواية مع أفعالها في سيرورة التحريك وتصورات القارئ عنها ما عرف بالهوية السردية الدينامية المتحركة وفق نظام التحريك وتقدم نموذج التوافق المتضارب الذي يمكن فيه بناء الهوية السردية للشخصية . وجدت دعوة (ريكور) لتوسيع مجال الحبكة الارسطية لتشمل اضافة للسرديات المتخيلة التاريخية صدى واسعا عند نقاد ما بعد الحداثة ومنهم (هايدن وايت) طبق المصطلحات الأدبية البلاغية في دراسته للسرد التاريخي أما الناقدة (ليندا هايتشون) فقد نحتت مصطلحا أطلقت عليه " الميتا رواية التاريخية" ودرست من خلاله اشكالية التمثيل في كلا الخطابين التاريخي والروائي تؤكد " إن الميتا رواية التاريخية ما بعد الحداثة مع قيامها بالتعظيم على التمييز بين الوهم والواقع وبين الرمز وما يمثل تطلب منا بأن نقر أن للتمثيل سياسة" .

الاطروحة كما أنظر لها هي البحث دالا فكريا وبلاغيا يطرح مشكلة أو موضوعا لم يدرس من قبل يبرهن على جدواه أو صحته باليات التحليل المنهجي وجمع المعلومات وتنظيمها وعرضها واستخدام مقدماتها ونتائجها للتحقق من صحة أو خطأ الفرضية (مراد، 2017، صفحة 6) أما عن لغة البحث فهي حاجبية هدفها الأنواع لكنها في العلوم الإنسانية دونا عن الصرفة قابلة للتناص مع الأساليب الأدبية الذاتية باستخدام فنون التمثيل التصويري والأدائي للغة.

ازاحت نظرية الخطاب وفي ظل توجهات ما بعد الحداثة تلك السود المانعة بين ما هو تمثيلي استطقي وما بين تاريخي وسياسي فالنصوص التاريخية منها الاجتماعية والنفسية النسوية تمثل اصواتا مختلفة في حوار ضمني مع بعضها وتريد جلها دخول مملكة السرد المترامية الحدود للأخذ بافانين من المتخيل القابل للتأويل تاريخيا وثقافيا ويرى "غيرتز" في كتابه " تأويل الثقافات" إن الثقافة مفهوم سيميائي فالانسان حيوان عالق في شبكات رمزية نسجها حول نفسه وإذ غدت الثقافة علما تأويليا وليس تجريبيا فنحن بصدد مرحلة يصبح فيها الأدب جزءا من الاطار الأكبر للثقافة لقد كان لهذه العملية اثرها في ادماج الدراسات الأدبية ضمن حقل الدراسات الثقافية (غيرتز، 2009، صفحة 82)

أفضت تلك التوجهات إلى حقل معرفي جديد يعرف " الدراسات البيئية" تعني اقامة تفاعل بين تخصصين أو أكثر " يهدف الى التعاون بين المتخصصين في أفق تخصصي وتكميلي أو حتى الاندماج بين تخصصات، تؤسس البيئية على تقسيم توافقي لاهداف ومناهج ولغات مخصصة لكل تخصص يمكن أن تكون في شكل عمليات نقل أو استعارة من مجال علمي الى آخر أو لاليات تهجين بين التخصصات وتتجاوز ذلك إلى خلق مجالات تخصص جديدة" (دالاي، 2018، صفحة 51)، لربما في المستقبل القريب بالامكان تأسيس تخصص أكاديمي تمنح بموجبه شهادات علمية يدعى (الرواية الاطروحة).

1-2 -جاذبية الصفر : الحكاية والرواية الأطروحة

يكتب المهاجر العراقي في العاصمة البريطانية رسائل الى صديقه ايام الطفولة والصبا (ج،م) يبوح فيها بأشياء لم يكن ليتمكن من الادلاء بها مباشرة للمرسل إليه وقد فرقت بينهما الاهواء والضغائن وجمع بينهما الاغتراب في عاصمة الضباب، يغزل السرد خيوط الحكمة بمغزليين، تعدد الرواة واللغات من جهة وتعدد المروي لهم مثل تلك الرموز لاسم المرسل اليه تاره (ج،م) الفنان التشكيلي جليل و (كاف) تارة أخرى.

يوفر أسلوب الرسائل مثلها مثل اليوميات والمذكرات ميزات عدة للسرد الروائي، فهو يثير اسئلة حول امكانية الوصول إلى الماضي من خلال وصف العلاقة بين الحياة كما عشت والوصف المكتوب لها وتوفر مدخلا إلى الحياة الداخلية لشخصها، وتقديم الشخصية بكلماتها بكلماتها الخاصة مع اختزال دور الراوي إلى محرر (هادلي، 2012، الصفحات 61-68). لا يحكي كاتب الرسائل والذي يسرد القصة بضمير الأنا المشارك قصته مع صديقه الفنان فحسب وانما عن مجموعة من المغتربين "أسعد" و"ماهر" وثالثتهم امرأة

تدعى الدكتورة " عالية " طبيبة عراقية من عائلة أرستقراطية لها مكانتها المهنية والاجتماعية في لندن وهي من أوائل قوافل المهاجرين إلى أوروبا بعد انقلاب 1963، لكل شخصية من هؤلاء الخمسة حكاية مع الوطن الأم ومع الاغتراب وهوية شخصية متفردة تشكل عبر أفعالهم والاحداث التي مروا بها وعنائهم في الزمن، يمثل الأصدقاء الجيل الثاني من أجيال الدولة العراقية الناشئة هو جيل نهاية النظام الملكي وبداية العهد الجمهوري وقد تشظى وعيه بين تيارات فكرية وسياسية متباينة وهو جيل جدلي صعد فجأة وخبا بالسرعة ذاتها " 1947-1963. ولكل من الاصدقاء ابناء يعيشون معاناة نفسية واجتماعية مختلفة عن الالاء، جيل شاب منقطع الجذور عن الأصل فالبيئة والمكان يلعبان دورا رئيسا في تشكيل الهوية . لا تهمل الحكاية الجيل الذي وعى قيام الدولة 1921. من هؤلاء شخصية العمو عم الدكتورة عالية وشخصية أخرى سيجري الحديث عنه صرح أسعد الشخصية الفكاهة والحسية والساخرة من بينهم " أنا انسان براغماتي أعطينا لينين كل القرن العشرين لاختبار نظريته لكنها مع الاسف لم تصمد حتى النهاية...قالت عالية بنبرة ساخرة حتى العام الماضي كنا لا نتجرأ على انتقاد جرائم ستالين أمامك خاصة بعد شريك ثلاث زجاجات نبذ" (الاله، 2022، صفحة 69). أسعد شيوعي متطرف ارتد بعد هجرته عن مبادئه ليكون براغماتيا متطرفا، عالية شيوعية معتدلة توجهها الفكري أقرب للياسر، جليل فنان نرجسي شيوعي ثابت على عقيدته لكنه لا يبوح بها يتميز بالغموض والكتمان ، ماهر مثقف من دون عقيدة سياسية مصاب بالخلاء ويعشق النساء ،أما يوسف كاتب الرسائل يمكن وصفه بالمتعاطف مع الماركسية النقدية غير منتمي للشيوعية سياسيا وتنظيميا ، منذ هجرته تبنى السلوك ونمط الحياة الغربية متزوج من انكليزية لا يتواصل مع أهله لكن اللقاء بالاصدقاء في زمن استثنائي والاحاطة بالوطن حينها وضعت على مسافة أقرب من وطنه ووضعت هويته التي ارتضاها لنفسه كمواطن انكليزي موضع اعادة التأسيس من جديد.

وبعد هل وصلت رسائل يوسف إلى صديقه؟ لم تصل ضاعت من كاتبها في مطار هيثرو عندما استبدلت حقيبة المرسل بحقيبة مسافر آخر! ما نقرؤه نحن الرواية التي كتبها المسافر الصحفي والذي اخذ الحقيبة قرأ الرسائل (المطاريف الخمسة) شغل بها قام بترجمتها إلى العربية واجرى تغيرات عليها ولا شك أنها حرصت مخيلته للإبتكار وهو يقرأ صفحاتها وقرر نشرها على هيئة رواية. قضيت الليل غارقا في قراءة الرسائل الغربية كانت مكتوبة بانجليزية متقنة تشير إلى أن ورائها عقلا اعتاد على تأليف البحوث الأكاديمية مع ذلك كانت هناك كلمات وعبارات شديدة الغموض بسبب طريقة خطها باليد وبعضها حروفه ناقصة لا اذكر كم مضى من الوقت على قراءتي الاولى لها قبل ان اقرر ترجمتها الى العربية/12. للقارئ بعد ذلك أن يقيس مسافات التعدد الصوتي واللغوي في الخطاب السردى،

نقرأ أسلوب كتابة الرسائل توازيا مع تأليف رواية ابداعية، انشاء الرسائل ذاتي في تواشجه مع الأدبية لغة وسردا ويعد أسلوبها موضوعيا بما يتضمن من انشاء مقالي واقناعي بموازاة تخيل قصصي، كتبت الرسائل بالانكليزية والرواية عربية، يعد الاستاذ الجامعي مؤلفا نصيا وروايا للأحداث أما الصحفي فتتعدد ادواره النصية فهو قارئ للرسائل بداية بكل ما تتضمنه القراءة من وظائف انتباهية وتأويلية ثم اقترح نفسه مؤلفا نصيا في إعادة التشكيل السردى لبنية الرسائل ،ومؤلف ضماني لمحتوى ومضامين الرسائل ، وأغلب الظن أن وجهة نظر الراوي مزدوجة بين الكاتب والروائي .

ما تاريخ كتابة الرسائل؟ وما زمان الحكاية واحداثها، وما تاريخ ضياعها وإعادة كتابتها ، لم يفصح الراوي عن زمن كتابة الرسائل تحديدا إلا بالإشارة والتلميح انه بعد 2003 " لعلك تذكر ذلك اللقاء الذي جمعنا في بيت الدكتورة عالية، استطيع الان وبعد مرور سنوات على ذلك اللقاء ادراك مغزاه ، حين أغمض عيني اراه على هيئة خط فاصل، أو بصيغة أدق هوة فاصلة /17 ، ما يدل على أن فارقا زمنيا بين بداية أحداث الرواية لقاء الأصدقاء في بيت الدكتورة وبين كتابة الرسائل، ما يكفي من الزمن للتأمل وترويض الذاكرة والمخيلة للكتابة.

بدأت حكاية الاصدقاء الخمسة من تاريخ ذلك اللقاء والذي جاء في 9/1/ 1990 بعد شهر واحد من غزو صدام للكويت، وبعد سنة واحدة من سقوط جدار برلين 9/11/ 1989 وبدأ انهيار المعسكر الشيوعي الاشتراكي وقبل اشهر من تفكك الاتحاد السوفيتي وعودة دولة روسيا الاتحادية، 26/12/ 1991 ، في هذا التاريخ بدأ الزمان الامريكي قوة وحيدة مهيمنة على العالم وسعيها للسيطرة السياسية والاقتصادية بإيجاد موطئ قدم لها في الشرق الأوسط مصدر الثروات والموقع الجيوسياسي في قلب العالم.

تلك هي الرواية، رواية نهاية حقبة العالم ثنائي القطب ونهوض عالم كولونيالي أحادي جديد على انقاض ذلك المتداعي، ما سمات النظام الامريكي الجديد ، وهل تبقت للشيوعية بالمنحى السياسي أو اليسار بالمعنى الايديولوجي والثقافي من باقية في هذا العالم ؟.

وجدت في رواية "جاذبية الصفر" أطروحة رئيسة عنوانها التمثيل الأسطوري للسلطة في العراق، وأخرى ثانوية عنوانها "التمثيل السيري لحياة الرؤساء ودوره في دراسة التاريخ .

2-1 - الأطروحة (1) التمثيل الأسطوري للسلطة في العراق الحديث:-

"الشعوب حديثة التكوين هي السعيدة"، جملة مفتاحية تضمنها خطاب الرواية تعد بمثابة فرضية أراد الكاتب التدليل عليها ليبين وجهة نظره في دراسة التاريخ من مداخل انثروبولوجية وثقافية للوصول إلى نتيجة أو حكم ، من هي الشعوب حديثة التكوين؟ قد تكون الشعوب الأوروبية بعد عصر الأنوار والقارة الأمريكية بعد اكتشافها بينما العراق قديم قدم ولادة الأرض وقد نشأت عليه الحضارات البشرية الأولى لكن صروف الدهر أتت عليه وسكانه ومن ثم تداعى! هنالك قول للفيلسوف (هيجل) يقرر " إن تاريخ العالم يتجه من الشرق إلى الغرب لأن أوروبا هي نهاية التاريخ على نحو مطلق كما إن آسيا هي بدايته" (حماد، 2019، صفحة 89) اختار الباحث نسق الأسطورة ليفسرتاريخ العراق في ضوءها، قدم الراوي جملة مبررات تجعله يتخذ هذا المنحى في دراسة الأسطورة من كشوفات معرفية " كم يبدو شيقاً قراءة التاريخ وفق الأساطير فهو يصبح اشبه بمعادلات رياضية متغيراتها سين وصاد وعين /"140. عند تطبيق نسق الأسطورة على دراسة التاريخ يصبح استخلاص النتائج اشبه ما يكون بالاستدلال الرياضي على شكل معادلة طرفيها مثبتين وطرف ثالث مجهول مطلوب معرفته وهي تختلف عن دراسة التاريخ بإداة المنهج الجدلي الهيجلي القائم على البرهان المستند لأسبقية الوعي على المادة وإن التناقض والصراع يمثلان أساس حركة التاريخ . تروي الأسطورة تاريخاً مقدساً وحدثاً جرى في الزمن البدئي ،كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا" (بارت ر.، 2012، صفحة 17) " إن العنصر الأسطوري يختلف جوهرياً عن العنصر التاريخي وعن الأحداث التي تقع في خط متسلسل فهي خروج عن التاريخ وعودة إلى الوقائع الأساسية بطريقة تهدف إلى اكتشاف بنيتها العميقة في حياة الكائنات" تقترب الأسطورة من الشعر "في اضافتهما على الزمن مرتبة خاصة تجعل الماضي مستقبلاً وقابلاً لأن يكون حاضراً ، يعرفها بارت بانها جزء من السيمولوجيا بما هي علم شكلي ، ومن الأيديولوجيا بما هي علم تاريخ " (بارت، 2015، صفحة 14) .

جاء اهتمام الدراسات التاريخية والانثروبولوجية بالأسطورة جنساً ابداعياً وخطاباً ثقافياً لما توفره من تأويل نقدي للتاريخ وعن علاقة الانسان بالاله والوجود" تعمل كنوع من الخطاب الشارح الذي يفترض أن تصنيف الأعمال حسب سياقاتها سيكون من شأنه تفسير العمل الأدبي وتوجيهه قياساً على مجموعة من المعايير الثقافية (كوسيه، 2002، صفحة 383) يحقق تضمين نسق الأسطورة حبكة الرواية هدفين للخطاب السردى، الأول ثقافي وهو تفسير ما خفي على الشروحات والسرد التاريخيين من هذه الوجهة تعد الرواية متناصاً مع الأطارح الجامعية المتخصصة في الأدب. والهدف الثاني جمالي يمنح زمن الرواية وتكنيكها ديناميكية في السفر عبر قصص الزمان من الماضي إلى الحاضر وصولاً نحو استشراف المستقبل.

يفرد الراوي لدراسة الأسطورة حبكة موازية للقصة المتخيلة ، تألفت الرواية من ثمان وعشرين مظهرًا متشعبة من المظاريب الخمسة لكاتب الرسائل، وهو إذ يسمى المظاريب التي تنتظم بالخط العام للحكاية المتخيلة بعنوانين دلالية تتعلق بمضامين الحكاية مثل الصفر الذي سيأتي الكلام عنه أو الهوامش أو الفردوس بينما يسمى المظاريب التي تنتظم بعنوانين تدل على أن السرد يستطرد في كلام آخر مثل المظروف السادس عنوانه (بلا عنوان) يفتتح بقول السارد " نحن لا نستطيع استرجاع الماضي بالكلمات إلا عبر التاريخ أو الأسطورة، في الحالة الأولى أبطال الماضي هم البشر، أما في الحالة الثانية فهم الالهة الذي يستخدمون البشر دون علمهم أدوات لتنفيذ رغباتهم"/131.

يستأنف الكلام في الأسطورة عن ربات القدر وهن يحددن اعمارالبشر، ثلاث ربات واحدة تغزل خيوط العمر، والثانية تحدد طولها والثالثة تقطعه وما البشر إلا أدوات " بيد قوة خفية أخرى"/ 90. يطبق الراوي، الباحث نسق الأسطورة في دراسة تاريخ العراق ليس العام أو القومي وإنما تاريخ الزعماء الذين حكموا بعد الجمهورية الناشئة 1958 فمثلما ترمز الأسطورة التاريخ، تستبطن شخصيات الزعماء هوية الأمة الثقافية يعرف ذلك التوجه في الدراسات النفسية والانثروبولوجية بالشخصية الأساسية للمؤسسات أو الأفراد وتعني " وجود تشابه وثيق بين المجتمع والفرد، وأن شكلاً من العلاقة الجدلية تربط بين الشخصية والمؤسسات" (لستون، 2008) . إن دراسة سيرة الرؤساء بيئتهم ومجتمعهم طبقته الاجتماعية الإكراهات التاريخية والثقافية التي عاشوا في كنفها وسلوكهم مع الآخر ومع رعاياهم تمنح الباحث مؤشرات واستبصارات عن مجتمعهم بعمامة وتعد السيرة جنساً تشاركياً بين السريدين التاريخي والإبداعي فالمواد التوثيقية

التي يستخدمها المؤرخ خارجة عنه وبالتالي فإنه منفصل عنها انفصالا يجيز له أن يخضعها للنقد الموضوعي وهو الأساس في السرد التاريخي الشخصية (ماي، 2017، صفحة 24). قيام الجمهورية العراقية بعد اسقاط الملكية واعداد الملك، شبه صداقة الرئيس عبد الكريم قاسم لقبة الراوي "الجنرال" بنائبه ومن ثم الرئيس من بعده عبد السلام عارف "الكولونيل" بعلاقة كلكامش بأنكيديو في الملحمة الشهيرة " لعل الناس انذاك اسقطوا على البطلين المجهولين شخصيتين اسطورييتين، جلعامش على الجنرال الأكبر سنا وأنكيديو على الكولونيل الأصغر سنا وإذا كان انكيديو هو الذي قتل حارس الغابة خمبابا فإن الالهة غضبت على جلعامش أكثر" /140 يفسر الراوي الباحث ما يريده بهذا التشبيه، خمبابا هو العائلة المالكة والغابة هي الوطن لكن الصداقة بين الجنرال والكولونيل ليست كما وردت في الملحمة قائمة على الوفاء والاخلاص وانما على الغيرة والحسد .

وبعد صراع مرير بعد اعلان الجمهورية واعتلاء (عبد الكريم قاسم) سدة الحكم وحيازته لقب الزعيم وبعد أن تقلبت علاقته بالشيوعيين بين مد وجزر أزيح الحمر من المشهد السياسي العراقي ورجع الخضر الجولة 1963 والجولات التي تلتها إلى أن استأثر البعثيين بالسلطة 1968 يصف الراوي ذلك الانقلاب بأن " قطار الوطن خرج عن سكتته وإن لحظة انقلابه المروعة لن تكون إلا مسألة وقت/ 110 ، وصل صدام للحكم بعد أن تخلص من صديقه الرئيس السابق مثلما فعل الكولونيل بصديقه الجنرال قبله، يستخدم الراوي اللفظ الانكليزي لإسم الرئيس "سدم" وقد أشار إلى أن الاسم يحيل المتلقي إلى مدينة سدوم التي غضب الله عليها وأبادها لكثرة طغيانها أراد الراوي إن ينفذ إلى شخصية صدام حسين تحديدا مع الإشارة إلى سابقه عرضا حكم صدام باسم ايديولوجيا حزب البعث القومي 1979-2003 وكان من أكثر الزعماء الذين حكموا البلاد عبر تاريخها بطشا وقسوة وغرورا وتهورا وكان نتيجة مغامراته الدموية تدمير العراق أرضا وشعبا ومقدرات اقتصادية وعسكرية بعد حرب الخليج الثانية 1991. ، يقول كاتب الرسائل لصديقه " لعلك ستسخر مني إذا رويت لك حكاية سدم باعتبارها أسطورة فأنت بقيت حتى لقائنا الأخير متشبثا بحتمية لا يستطيع التاريخ أن يفلت منها حتى لو اريتك ذلك النصل المغرور في خاصرته، ذلك النصل الذي جاء من خارج صفحات التاريخ لحظة اغفاء عابرة لقوانينه"/131. يعتقد الصديق الماركسي (جليل) إن التاريخ محكوم بالحتمية والصراع الجدلي بين قوى المجتمع الفاعلة بينما كاتب الرسائل والذي يفضل نظرية المحاكاة الأسطورية يمنح الصدفة والخطأ والسخرية والقلب واللعب الدلائيل مجالا في تفسير التاريخ، تبدو حكاية صدام وقد سمع بها العالم في الثلث الأخير من القرن العشرين وكأنها صورة مشوهة لأسطورة قديمة عن انصاف الالهة خرجت من أعماق الماضي.

ولد صدام ولم ير أباه أو يعرفه، امه امرأة ريفية غير متعلمة عاش يتيما في فقر متقع تلك كانت أول عقده نفسية غياب الأب في بيئة قبلية متعصبة تقدر النسب الأبوي انتمى صدام لإمه وإخواله وهو يتشابه في ظروف النشأة والمحتد مع الملك العراقي (سرجون الأكدي) الذي لم يعرف أباه هو الآخر، بحسب الأسطورة أبت أمه ذات الأصل الوضع حملها به سرا وحين ولدته وضعتة في سلة مطلية بالقار، ثم دفعنها إلى ماء الفرات"/ 167 عمل سرجون حاملا لكأس الملك المماثل اليوم لمنصب النائب ثم ازاح ولي نعمته وأخذ مكانه مثل خلفه وهكذا فإن التاريخ لا يتقدم أو يسير باتجاه مستقيم وإنما حركته دائرية " هل التاريخ يتحرك في هيئة دائرة مقفلة، عود أبدي من نوع أبدي من نوع ما، فكيف تفسر عودة سرجون المتوفى عام 2279 قبل الميلاد إلى الحياة في نسخة هزلية أخرى بعد أكثر من أربعة الاف سنة وفي بقعة الأرض نفسها" /168 ، نرى كيف يبرز السرد الحجاجي عندما يحاول الراوي أثبات صحة وجهة نظره في استعارة نسق الأسطورة للتدليل على أن للتاريخ أقنعة عدة منها الدائرة المحكمة القفل كالذي نلمسه من التماثل بين حكاية سرجون الأكدي التي تعود لفجر التاريخ وبين سيرة صدام أواخر القرن العشرين.

قناع أسطوري آخر إلا وهو قناع لعبة الاحتمالات أو التجربة والخطأ في سيرورة التاريخ، يستعير الراوي اسطورة الخضر الدينية الرجل الذي اتاه الله علم الغيب وعلمه تأويل الأحاديث وحكاية لقائه بالنبي موسى ومرافقه له في رحلة يشهدان اثناها قصصا رمزية تتناول العدل الالهي ،، في المظروف الثامن وكان عنوانه " هذيان اخر الليل" يستطرد كاتب الرسائل في سرد حكاية لقاء النبي موسى مع الخضر من بدايتها " ها هو يراه ماشيا فوق الماء، فتحضره حكاية ذلك الرجل الذي منحه الرب الخلود ومعرفة المستقبل، هل كان لون بشرته زيتونيا أم هو لون ثوب الطويل المترجرج تحت أشعة الشمس الصاخبة"/ 163 سرد قصصي طريف في لغة وصفية شاعرية لحكاية تراثية منفصلة تماما عن حبكة الرواية المتخيلة سرد متناص مع الحكاية الشعبية، نتيجة لهذا الاستطرد أطلق على المظروف عنوان هذيان آخر الليل لكنه هذيان واع في السيورة التأويلية، هذيان له غايات ودلالات موكلة بالقارئ اكتشافها.

يركز الراوي على حكاية الطفل الذي قتله الخضر أثناء الرحلة لأن هنالك مؤشرات رمزية تدل على أن الطفل عندما يكبر سيكون ظالماً لوالديه وعندما شرح الخضر عليه السلام للنبي موسى سبب قتله الطفل، ورد في القرآن " وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا (الكهف، 80) " أنهى الراوي سرد القصة ليبدأ في التبرير التاريخي لتمثيله بها " كان علي أن أخبرك أن الخضر أخطأ الهدف للمرة الأولى في حياته الأولى" / 165. حدث أن الطفل المعني بالعقوبة لم يخرج لرعي اغنامه وكان مكانه آخر برئ تلقى العقوبة بدلا عن المذنب، يعقد الراوي مقارنة بين طفل قصة الخضر الدينية وبين صدام في طفولته والذي كان يخرج للرعي الاغنام هو الآخر، يعرفه ابناء قريته بلقب الكذاب كان يعنف اقرانه ويسرق بيوت جيرانه ما يدل على مشابهته للطفل الشرير في قصة الخضر وبالرغم من حوادث كثيرة رافقت طفولته وصباه ومواجهته للموت في أحيان كثيرة إلا أن الله لم يقيض له من يقتص منه قبل أن تكون حياته في المستقبل وبالا على شعب بأكمله!.

استعارة أخرى لأسطورة " المينتور " تطرق إليها كاتب الرسائل في مظهرين العاشر والثاني عشر بعنوان " متاهة المينتور، 1، 2" من حيث برع صدام نصب الافخاج لمعارضيه لاقتصاصهم والخلاص من خطرهم على ملكه قويض له من ينصب له فخا لاقتناصه ، ذلك هو الرئيس الأمريكي " جورج بوش" الاب هو من ورط صدام باحتلال الكويت من خلال السفارة الأمريكية في العراق 1990 والتي أوحث لصدام في لقاءهما إن أمريكا لن تتدخل في حالة وقوع خلافات بين الاشقاء العرب " تحضره صورة تلك المرأة المسترجلة مرة أخرى ابريل غلاسبي" هل كانت هي الفخ الذي نصبه بوش له حين أكدت له وعلى شفرتها ابتسامة عريضة مطمئنة " نحن ليس لدينا رأي حول الخلافات العربية العربية " (194). وضع الراوي كلام السفارة بين مزدوجي تنصيص ليوثق الحدث التاريخي على شاكلة البحث ولقد كرر كاتب الرسائل حدث توريط بوش لصدام بغزو العراق مرات عدة في الرواية ليدل على وحشية أمريكا حال تغردها بزعامة العالم واقدامها على غزو العراق ونهب ثرواته هذه من زاوية، ويشير إلى همجية الديكتاتورية فقد نصب صدام نفسه الها أرضيا وكان على الكل اطاعته أراد منافسة الالهة الأرضية على عروشهم مثل بوش الأب لكنه لم يفعل 1990.

أقن الرئيس بناء المتاهات طوال فترة حكمه كانت قصوره اشبه بالمتاهات والمتاريس ليتسنى له الاختباء داخلها إذا تعرضت حياته للخطر وكان يجيد صناعة الفخاخ لاصطياد خصومه السياسيين عن طريق شبكات المراقبة والتجسس التي تبدأ من اعضاء حزبه المقربين ولا تنتهي إلا بالبسطاء من رعيته ، المتاهات التي حصن بها نفسه انهارت في لحظة وقد ونجا من كان في قبضته مثلما نجا ثيسوس من المتاهة بعد قتله المينتور بفضل رأس الخيط الذي منحته اياه ابنة ملك كريت آريادن.

تلك هي الأساطير والملاحم والحكايات الرئيسية التي حللها كاتب الرسائل ليدرس تاريخ العراق في ضوءها واثبت بواسطتها إن الصراع التاريخي يفهم فهما مغايرا للجدل الهيجلي عند استخدام فن المحاكاة الأسطورية والتراثية التي تمنح الدلالة والزمن ابعادا تضمينية مشفرة زمنيا ودلاليا ينجح التأويل المضاعف بين السارد والقارئ في تجليتها، وهنالك اشارات لأساطير أخرى وردت على الهامش لا مجال لاستقصائها بإكملها وقد اتضحت الرؤية الموازنة بين الأسطورة والتاريخ فيما سبق ذكره . سردية التوازي بين الأسطورة وسيرة رؤساء العراق وهي سردية معلنة تستبطن سردية أخرى تقرأ من بين السطور تلك هي السردية الانثروبولوجية التي تضيء على جوانب من طبائع وسلوكيات الشعب العراقي وأبعاد العلاقة بينه وبين رؤسائه وبخاصة صدام " كم تحسنت حياة مواطنيه منذ أن أصبحت القوانين جرة قلم من يده اليمنى، وكم عبروا عن عرفانهم بالجميل له عبر الاف القصائد واللوحات التي تتغنى به،... مع ذلك لم تقارقه الريبة منهم إليسا هم أنفسهم أو ابائهم من صفق بحرارة للملك حين افتتح ثلاثة جسور في يوم واحد، وهم أنفسهم من احتل بمقتله بعد يوم واحد فقط"، 196.

استثمر كاتب الرسائل السرد التلخيصي في قصصه الاسطوري، مجمل سردي اشبه بالاقتباس غير المباشر من النصوص من زاوية كتابة البحث ، يتضمن الاقتباس سرد الحكاية بأقل جمل ممكنة والاضاءة والكشف على العبرة منها ودلالاتها الفكرية والثقافية ومن بعد الاقتباس يفسر الراوي للمتلقى علاقة الأسطورة بالعناوين والفرضيات التاريخية التي يطرحها بما يوفر له اثبات الحجة على كلامه.

تمثلت وظيفة قناع الأسطورة في الرواية بالتفسير التاريخي بداية والاضاءة على الانثروبولوجيا الثقافية للمجتمع ثانيا فليس الرؤساء بمفردهم من يستبطن النماذج الاسطورية في وعيه وسلوكه فحسب وإنما الرعية كذلك فالآلهة في الأساطير والزعماء عبر التاريخ يتصارعون والشعوب ما هي إلا جوقة تصفق للمنتصر ومنها الشعب العراقي والذي لم يبرز دوره في أزمنة الحرجة من تاريخ بلدهم إلا بالتشفي والتكيل بالرؤساء بعد سقوطهم.

2-2 الأطروحة(2): التمثيل السيري للزعماء وأثرها في دراسة تاريخ العراق الحديث:

أطروحة وردت هامشا على التمثيل الأسطوري لتاريخ العراق :استفاضة كاتب الرسائل في تبيان سيرة صدام للقارئ. ما جعل الرواية تتضخم وتبلغ صفحاتها 500 فلا شيء يستهوى المؤلف الضمني بقدر الكرنفالية أو النهج الحوارية الباخثيني في اهتمامه بالشخصية لغاتها وتنوعها الفكري من زاوية والانفتاح على أجناس قولية وتعبيرية أخرى كالسيرة والتشكيل والموسيقى من زاوية أخرى . من الممكن قراءة دلالة أخرى لذلك الاستطراد في سيرة الشخصية في كون الرواية مرسله إلى "كاف" الرسام صديق المرسل الاستاذ الجامعي "يوسف" ومهتمة بسيرة صدام فهل هناك من تجاذب بين الرئيس والرسام ولربما مع الاستاذ الجامعي ؟ ليس هناك من توافق بين الشخصيتين في التأثير السياسي وتبني استراتيجية العنف في الوصول والبقاء فالرسام فنان مرهف الحس هادئ ومسالم محدود العلاقات الاجتماعية ومخلص في الدفاع عن معتقده السياسية والثقافية لكن من الممكن أن نلمح ثمة تجاذب بين صدام وجليل في بعض ظروف النشأة الاجتماعية ، كان صدام طفلا منبوذا في مجتمعه وبين اقاربه في المدرسة بسبب وضاعة نسبه وفقره وشراسته وبدأ جليل طفولته طفلا منبوذا هو الآخر بسبب خجله وضعف بنيته الجسدية وانطوائه وقد شكل تعرفه على صديقه كاتب الرسائل نقطة فاصلة في حياته فقد احتضنه ومنحه الدعم والحماية من اعتداء الاطفال في المدرسة بينما تنبه أحد المعلمين موهبة الطفل في الخط والرسم وعندها صار ينظر اليه بأنه الفتى الموهوب المعجزة وأخذ يشارك في الفعاليات والانشطة الفنية والأدب التي تقيمها المدرسة فما كان منه إلا أن تخلص عن صديقه الذي أحبه وقدم له الدعم والحماية " لا بد أن غضبا داخليا ما استحوذ علي آنذاك وأنا أرى من حميته شهورا يسحب البساط من تحتي فيصبح الجنرال غير المنازع في الصف لكان قسما وجهه القاتمة التي ظلت موضع محاكاة ساخرة من البعض تحولت بين عشية وضحاها إلى مثل أعلى" /57.

بدأت قصة الصديقين المغتربين زمن كتابة الرسائل في أرض الوطن منتصف الخمسينيات من القرن العشرين أودى غرور الرسام وغيره صديقه المقرب منه بأواصر تلك الصداقة الندية وبعد اقضاء "كاف" لصديقه من حياته لم يقبض القدر لهما اللقاء ثانية إلا في لندن حيث عادت تلك الصداقة إلى بعض من صفاتها القديم مع بقاء اشياء في نفس كاتب الرسائل عندها تولدت رغبة في نفسه بالكتابة لصديقه يذكره فيها بأيام الطفولة وكيف بدأت قصتهما معا ومآلاتها في البلد الغريب، قد تقترب سيرة الزعماء من سيرة البسطاء فالشخصية سواء أكانت زعيما أو روائيا أو من عامة الناس مرتين بظروف النشأة الاجتماعية.

في تناول الراوي لسيرة صدام في طفولته حضر التوازي مع نسق الأسطورة واضحا أما عن سيرته زمن عنفوانه وشبابه ومن ثم إحكام قبضته على مقاليد الحكم وصولا إلى احتلال الكويت حيث بدأ زمن الانحلال والتقهقر نحو الهاوية قدمت السيرة على شكل مشاهد درامية أو لوحات تشكيلية ودرامية كل لوحة أو مشهد منفصل عن الآخر رصد كاتب الرسائل حقبة فاصلة من حياة الشخصية وعقدها النفسية والاجتماعية و دلالة كاشفة عن دواخل الشخصية عقدها وهواجسها مع قراءة النص المتضمن في الحدث تأثيره على تاريخ العراق المعاصر مشهد استهلاكي للسيرة يرصد حياة الشخصية وهي أعلى قمة هرم الصعود والتجبر منحدر نحو التراجع والهبوط باتجاه الأسفل ، تلك هي الأسابيع والأشهر الأولى من حكمه والتي أعقبت شهر اب 1990 " استفاق سدم فزعا من حلم جميل تحول إلى كابوس لا فكاك منه ها هو يسبح في نهر واسع مأؤه اصفى من البلور..فينساب جسده خفيفا إلى الأمام فجأة يبدا الماء بالتكثف فتثقل بنفس الايقاع حركة ذراعيه ورجليه شيئا فشيئا" /132 . استثمر الراوي سردية الحلم والتي تعد سمة تكرارية في سرديات لؤي عبد الاله الروائية والقصصية عامة ، الماء الصافي الذي كان يسبح فيه خفيفا تحول فجأة إلى سائل كثيف لزج أحمر تطفو فوقه الذباب الميت بعد هنيهة يصحو من هذا الكابوس فزعا، سردية الحلم تعبير مجازي أو قناع تصويري لهواجس للشخصية النرجسية والتي تعاني اكرامات الازلال من قبل الآخر.

مشهد ظهور الشخصية للمرة الأولى على مسرح الحياة السياسية العراقية في حدث اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم 1960 كان حينها أحد المنفذين الاربعة للاغتيال ولم يكن معروفا قبلها ليس في الوسط السياسي فحسب بل ضمن العناصر الفاعلة لحزب البعث " تلتقط أناه صليات الرصاص المتقطع صوب السيارة مختلطة بصرخات الناس الهلعين الذين راحوا يتراكمون في كل الاتجاهات هربا من الموت، يسحب غدارته من تحت قميصه يملأ صوت أمر من اعماقه " ها هي فرصتك الأخيرة لصعود سلم المجد" /341. سرد سينمائي مشوق لمحاولة الاغتيال يستبطن فيها الراوي نوازع الرئيس مشاعره وهواجسه ساعة شروعه بالقتل ما يطلق عليه " جنيت" الخطاب المسرد ويتخيل حوار الداخلي لذاته وهو في مفترق طريق بين فشل المحاولة الايقاع به ومن ثم قتله أو اعتقاله أو نجاح المحاولة واعتلاء سلم المجد.

مشهد لقاء الشخصية بالرهائن الأجانب بعد اب 1990. شغلت حكاية الرهائن حيزاً من فضاء السيرة مثل حدث لقاء صدام بالسفيرة الأميركية شكل كليهما نقطة فاصلة من أحداث تلك الحقبة، اكتشف العالم الحقيقة بعد احتجاز الرهائن فقد تصرف الرئيس مثل زعيم مافيا وليس قائداً لدولة عندما أمر جلاوزته باقتياد الأوربيين من الكويت نحو بغداد رهائن حرب ليساوم بحياتهم وسلامتهم بريطانيا وأمريكا، مكن حدث احتجاز الرهائن الراوي من إيضاح آراء الجيل العراقي الذي ولد وتربى في بلدان الاغتراب من بلدهم، ابنتا كاتب الرسائل يوسف

(سوزان) و(منى) من أبناء هذا الجيل، وصفت سوزان المجندين العراقيين ورؤسهم بانهم همج ووحوش لجملة الممارسات المشينة التي ارتكبت بعد احتلال الكويت وكان الإعلام الغربي يؤكد على تلك الصور والأفلام في تغطيته للأحداث لتشويه سمعة البلاد وشعبها وزدرايتها في أعين العالم، يرفض أبناء الجيل المولود في لندن أغلبهم الهوية العراقية ويتحيز للأسباب للإفلات من الانتماء للعراق وكأن هويتهم الوطنية عبء على كاهلهم .

مر الراوي على قصة كوميدية قصيرة مأخوذة من سيرة صدام فليست كل حكايا الطغاة مدعاة للحزن والاشمئزاز فقد يكون فيها ما يسلي ويضحك كذلك، تلك هي قصة طلب صدام من وزرائه رجال الدائرة المحيطة به تخسيس وزنهم ، بعد أن رأى كروشهم مترهلة وأوداجهم منتفخة من شراهة الطعام وظهر أنهم لا يعبأون بالمخاطر الجسيمة التي يتعرض لها النظام والأخطار المحدقة به 1991 وقتها، " وبعد يومين نصب ميزان كهربائي في قاعة الاستقبال بقصر الرئاسة وعند قدومهم راحوا يصعدون فوقه واحداً واحداً/ 218. دل المشهد الساخر على ان صدام يعد نفسه مسؤولاً وموكلاً بكل ما يخص أمور الحكم والرعية من طعامهم وأفكارهم إلى مشاعرهم وسلوكهم حتى نظام حياتهم الصحي وأوزانهم. اكتفى كاتب الرسائل بتسجيل تلك المشاهد الفاصلة المنتقاة زمانياً ومكانياً من حياة صدام وكان فيها دلالة بليغة على زمن حكمه. جاءت لغة الشخصية في سيرة الرئيس المتخيلة تشاركية بين الراوي والشخصية حيث يحرر الراوي كلام الشخصية ما يعرف بالخطاب المروي أو المسرد " لا شيء يميز بين ما كان في النص الأصلي أقوالاً وما كان إيماة أو موقفاً أو حالة نفسية (جينت، 1997، صفحة 197) مثل قوله " كانوا جميعاً من بغداد يتحدثون لهجة واحدة بينما يرطن بلهجة قريته الغربية على آذانهم، تتعثر الكلمات على لسانه، وتزوغ عيناه عن عيون الآخرين خرين كلما تحدث معهم دون إرادته/ 135 ، ويجمع بين خطاب مصرح به من قبل الشخصية وبين خطابها الداخلي ، كما في قوله في لقائه بالسفيرة الأميركية " يتراءى له سماع حفيف مكيف الهواء فيغمره للحظة شعور بالقشعريرة على الرغم من العرق الناضح داخل قميصه العسكري " كيف تفسرين هذه الحملة الظالمة ضدنا في اعلامكم الرسمي/ 213. ومراقبا وعيها وسلوكها بوساطة المونولوج المروي " استرجعت ذاكرته تفاصيل الرؤيا ، بينما تسلفت إلى عينه الثالثة صور الضيوف الغربيين الذين رآهم قبل يومين ، كم أعجبه ذلك الطفل الذي وقف جامدا كالتمثال بجانبه/ 133.

قدم خطاب الرواية بانوراما سردية وسيمفونية ادائية لحياة الرئيس العراقي كل منها طوعت لونا من الفنون التعبيرية مثل اللفظة السينمائية والتشكيل والموسيقى والأساليب السردية البلاغية مثل الأساطير والحكاية الشعبية والحلم والهراء والسخرية والتهمك ما استحققت أن توصف بالأطروحة التناسية السردية .

الخاتمة:

إمكانية تلخيص السمات الأسلوبية اللفظية والدلالية في للرواية الأطروحة بالتالي:

- 1- الرواية الأطروحة هو اتجاه سردي أو تيار من تيارات الرواية الحديثة أقرب المصطلح الباحثة (سوزان رويان) وحددت له أطرا ومحددات شكلية ودلالية وتبنى هذا البحث إحالة المصطلح إلى البحث في العلوم الإنسانية وإمكانية دراسة تداخله مع التخيل الروائي.
- 2- لكي يطلق على الرواية أنها رواية أطروحة يجب أن تشتمل على سرد بحثي صريح يوازي الحكاية المتخيلة وبالإمكان أن تدرج أطاريح ضمنية في الرواية بعد استيفاء المتن السردى لأطروحة صريحة.
- 3- التعددية الاجناسية والتعبيرية هي العنوان الأشمل للأطروحة فالإطلال على فضاءات الهوية الشخصية واللسانية منها الثقافية والحضارية يقتضي من السارد رؤية استقصائية للخطابات الانسانية فيكون الانطلاق من الذاكرة الدلالية طاقة بانية للعلم بالتاريخ والايديولوجيا، تجاوزت الذاكرة التاريخ بوصفه علما أو أرشفة فإنها تشكل اليوم جزءا من الرهانات الكبرى للمجتمعات المتطورة والنامية والطبقات المسيطرة .

4- بروز السرد المقالي الحجاجي في تناول قضية تاريخية وثقافية يبدأ السرد بصياغة فرضية معينة ثم يبين اهدافها للمتلقى وموجبات تبنيها ويحدد طرائق تناولها ومنهج في الدراسة شرحا وتحليلا وتأويلا بالحوارية مع الأجناس السردية المختلفة ومن ثم تأتي الاستنتاجات والحلول متواشجة مع المتخيل.

5- لا يخلو هذا الاتجاه في السرد من جمل ثقافية تفسيرية أو وعظية أو حكمية وهي ما أطلقت عليه الفرضيات البحثية والأهداف والاستنتاجات وتارة ليست فرضيات وإنما هي لافتات أو عناوين يتضح من خلالها إن السارد يتبنى وظيفة تعليمية وتوجيهية بإزاء المتلقي.

المصادر

- الغانمي. (1999). *الوجود والزمان والسرد فلسفة بول ريكور*. بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- امغار. (2020). *مفهوم الحجاج وتعريفاته*. اربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- امغار. (2020). *مفهوم الحجاج وتعريفاته*. اربد، الأردن: عالم الكتب الحديثة.
- بارت. (2015). *هسهسة اللغة*. دمشق: دار نينوى للنشر.
- بريان كوسيه. (2002). *موسوعة كامبرج للنقد الأدبي، النقد الأنثروبولوجي*. القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
- بن تومي. (2014). *فلسفة السرد المنطلقات والمشاربع*. المملكة المغربية: منشورات ضفاف والاختلاف.
- تودوروف. (2012). *المبدأ الحواري*. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- جورج ماي. (2017). *السيرة الذاتية*. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- جيرار جينت. (1997). *خطاب الحكاية*. القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
- حسن حماد. (2019). *نقد الجدال الهيجلي من الرومانسية الثورية إلى براغماتية نهاية التاريخ*. الاستغراب، 172.
- رالف لستون. (2008). *الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث*. بيروت: المكتبة العصرية.
- رولان بارت. (2012). *اسطوريات اساطير الحياة اليومية*. دمشق: دار نينوى للنشر والتوزيع.
- سعيد علوش. (6، 1988). *رواية الاطروحة والرواية المغاربية*. مجلة الاقلام، 67.
- علوش. (1986). *الرواية الأطروحة والرواية المغاربية*. بغداد: الاقلام.
- علي عباس مراد. (2017). *قواعد وخطوات وكتابة البحوث الأكاديمية*. بغداد: دار قناديل للنشر.
- فاضل ثامر. (2018). *التاريخي والسري في الرواية العربية*. الجزائر، بيروت: ابن النديم ودار روافد للنشر.
- فريدريك دالاي. (2018). *من أجل نظرية للبنىات بين الوحدة والتعدد*. فصول، 51.
- فضل. (1995). *منهج الواقعية في الإبداع الأدبي*. القاهرة: دار المعارف.
- كليفورد غيرتز. (2009). *تأويل الثقافات*. بيروت: المنظمة العربية للترجمة والنشر، ناشرون.
- لؤي عبد الله. (2022). *جاذبية الصفر*. دمشق: دلمون الجديدة.
- لويزا هادلي. (2012). *الرواية الفيكتورية الجديدة والسرد التاريخي*. بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر.
- مشبال. (2018). *الرواية والبلاغة*. قطر: دار كتارا للنشر.
- هارمن ومونتين. (1988). *الأطروحة والكتاب*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامو.
- هاشم ميرغني. (2022). *مقاربة لمفهوم التنوع الكلامي عند باختين*. عالم الفكر، 123.

References

- Al-Ghanmi, S. (1999). *Al-wujud wa al-zaman wa al-sard: Falsafat Paul Ricoeur* [Existence, time, and narrative: The philosophy of Paul Ricoeur]. Arab Cultural Center.
- Alloush, S. (1986). *Riwayat al-utruha wa al-riwaya al-magharibiyya* [The thesis novel and the Maghrebi novel]. Al-Aqlam.
- Alloush, S. (1988). *Riwayat al-utruha wa al-riwaya al-magharibiyya* [The thesis novel and the Maghrebi novel]. *Al-Aqlam Journal*, (6), 67.
- Amghar, M. (2020). *Mafhum al-hijaj wa ta'rifatuh* [The concept of argumentation and its definitions]. Modern World of Books.
- Barthes, R. (2012). *Usturiyyat: Asatir al-hayat al-yawmiyya* [Mythologies: Myths of everyday life]. Dar Ninawa for Publishing and Distribution.
- Barthes, R. (2015). *Hasis al-lugha* [The rustle of language]. Dar Ninawa for Publishing.
- Ben Toumi, Y. (2014). *Falsafat al-sard: Al-muntalaqat wa al-mashari'* [The philosophy of narrative: Premises and projects]. Dhifaf and Ikhtilaf Publications.
- Cosey, B. (Ed.). (2002). *Mawsu'at Cambridge fi al-naqd al-adabi: Al-naqd al-anthropoloji* [The Cambridge history of literary criticism: Anthropological criticism]. National Project for Translation.
- Genette, G. (1997). *Khitab al-hikaya* [Narrative discourse]. National Project for Translation.
- Geertz, C. (2009). *Ta'wil al-thaqafat* [The interpretation of cultures]. Arab Organization for Translation & Publishers.
- Hadley, L. (2012). *Al-riwaya al-fikturiyya al-jadida wa al-sard al-ta'rikhi* [Neo-Victorian fiction and historical narrative]. Dar Al-Mamoun for Translation and Publishing.
- Hammad, H. (2019). *Naqd al-jadal al-Hegeli: Min al-rumansiyya al-thawriyya ila pragmatiyyat nihayat al-ta'rikh* [A critique of Hegelian dialectics: From revolutionary romanticism to the pragmatism of the end of history]. *Al-Istighrab Journal*, 172.
- Harman, E., & Montines, I. (1988). *Al-utruha wa al-kitab* [The thesis and the book]. General House of Cultural Affairs.
- Litzton, R. (2008). *Al-anthropolojia wa azmat al-'alam al-hadith* [Anthropology and the crisis of the modern world]. Al-Maktaba Al-Asriyya.
- May, G. (2017). *Al-sirah al-dhatiyya* [Autobiography]. Ru'yah for Publishing and Distribution.
- Mhirghani, H. (2022). *Muqaraba li-mafhum al-tanawwu' al-kalami 'inda Bakhtin* [An approach to Bakhtin's concept of heteroglossia]. *Alam Al-Fikr*, 123.
- Mishbal, M. (2018). *Al-riwaya wa al-balagha* [The novel and rhetoric]. Katara Publishing House.
- Murad, A. A. (2017). *Qawa'id wa khatawat kitabat al-buhuth al-akadimiyya* [Rules and steps for writing academic research]. Dar Qandil for Publishing.
- Thamir, F. (2018). *Al-ta'rikhi wa al-sardi fi al-riwaya al-'arabiyya* [The historical and the narrative in the Arabic novel]. Ibn Al-Nadeem & Dar Rawafid for Publishing.
- Todorov, T. (2012). *Al-mabda' al-hiwari* [The dialogic principle]. Ru'yah for Publishing and Distribution.
- Abd al-Ilah, L. (2022). *Jadhibiyyat al-sifr* [The attraction of zero]. Dilmun Al-Jadida.
- Dalai, F. (2018). *Min ajl nazariyya lil-binyat: Bayn al-wahda wa al-ta'addud* [Toward a theory of structures: Between unity and multiplicity]. *Fusool*, 51.
- Fadl, S. (1995). *Manhaj al-waqi'iyya fi al-ibda' al-adabi* [The approach of realism in literary creation]. Dar Al-Ma'aref.